تحقيق مبدأ التقشف

رغم ما نعيشه من مشاكل ومهاترات لا نعرف من خلالها إلى أين نحن ذاهبون، نجد أن من وثقنا فيه وكان بالنسبة لنا المنقذ مما يعانيه هذا الشعب من فقر وحرمان، يهل علينا في خطاب، ويطلب من الشعب التقشف... هل هذا هو المطلوب منا في الوقت الحالي، هل بذلك سوف نحل مشاكلنا؟

رغم أن كلمة التقشف مصطلح كان لابد أن يشرحه لهذا الشعب، ولماذا يطلبه منه في الوقت الحالي؟ ولماذا؟ هل الإسلام مبنٍ على التقشف؟

التقشف هو مصطلح يشير في علم الاقتصاد إلى السياسة الحكومية الرامية إلى خفض الإنفاق، وغالبًا ما يكون ذلك من خلال تقليص الخدمات العامة. في كثير من الأحيان تلجأ الحكومة إلى الإجراءات التقشفية بهدف خفض العجز في الموازنة، وغالبًا ما تترافق خطط التقشف مع زيادة الضرائب.

التقشف بالمعنى العام يقصد به صعوبة العيش وخشونته، بسبب عدم كفاية حاجات الإنسان... وهو في الإصطلاح السياسي "برنامج حكومي ذو طابع اقتصادي" يستهدف الحد من الإسراف من زيادة الإنفاق على السلع الاستهلاكية وتشجيع الادخار والعمل على مضاعفة الإنتاج علاجًا للأزمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد.

والإسلام يدعو إلى الاقتصاد وعدم التبذير في كل شيء، وعدم المبالغة والتكليف في أشياء كثيرة سواء في الأكل والشرب، وحتى الزينة والمظهر الخارجي، فقد دعانا لأن نأخذ بأوسط الأمور حيث قال صلى الله عليه وسلم: " خير الأمور أوسطها"، فيكون الإنسان معتدلاً في أي شيء، وحتى إننا نرى أن الأشياء التي يدعونا إليها الإسلام قريبة للإنسان، ومقبولة وليست مخالفة لفطرته، وما نراه من بناء للقصور وتبذير في الحفلات وغيرها، هذه أشياء يفعلها الناس أنفسهم لم يدعونا الإسلام إليها، بل إن الرسول أخبرنا بأنه لا يؤمن من ينام شبعانا وجاره جائع، وكان يأمر من يطبخ لحمًا أن يزيد من مرقها ليطعم جيرانه.. لأنه لا يجوز لنا إيذاءهم بالرائحة، حتى إن الرسول عليه السلام كان جاره يهوديًا يضع القاذورات أمام بيته فعندما خرج الرسول عليه

الصلاة والسلام يومًا ولم يرى القاذورات أمام بيته تعجب، فسأل عن جاره اليهودي، فقالوا بأنه مريض، فذهب وزاره.

فالإسلام يدعونا إلى مساعدة المحتاجين ومد يد العون لهم، حتى إنهم في زمن عمر بن الخطاب كانوا يدورون بالزكاة فلا يجدون محتاجًا، فكان عمر رضى الله عنه يخرج ليتفقد أمور رعيته ويساعد المحتاج... فهذا هو الدين الإسلامي يدعو لكل ما فيه صلاح للجميع، وهو الدين الكامل الذي يرضى الله به. قال تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }(سورة المائدة: الآية ٣).

لكن ظهرت في هذا الزمن الفتن والتفاخر بالبنيان، وكل وسائل الرفاهية التي يلهث وراءها الطامعون في الدنيا حتى أصبح الإنسان يعيش في زمن التوهان لا يشعر بمعاناة الآخرين.

فهل فكرت يا سيدي قبل أن تطلب من هذا الشخص الغلبان التقشف أن تدلي بهذا وتفرضه أيضًا على أصحاب الأموال الطائلة الذين يتهربون من دفع الضرائب، وكل ظروف أعمالهم بطرق ملتوية، ولا أحد يقول لي إنهم يوظفون في شركاتهم أناسًا كثيرين، ويعيلون أُسرًا كثيرة، أو أنهم من ذوي الأعمال الخيرية، لأنهم يعيشون على حساب حياة هؤلاء الفقراء الذين طلبت منهم

التقشف... هل تعلم أن هناك بيوتًا لا يوجد فيها وصلة للمياه ولا للكهرباء، غير أنها آيلة للسقوط في أي لحظة ولا يملكون حتى قوتهم اليومي، وفي نفس الوقت يوجد من يمتلكون القصور والأموال الطائلة.

مع أن خطابك كان واضحًا ومعروفا هو موجه لمن سيدي، وحذارٍ يا سيدي من تكرار أخطاء الماضي لأننا أصبحنا الآن نعيش في زمن الشفافية.

نعم لقد أحببناك، وكنت بمثابة زعيم فعلاً فيما فعلته، ولكن ليس على حساب الغلابة الذين لم يحدث حتى الآن أي شيء يغيِّر من حياتهم، لأنه في كل مناسباتك تدعو مجموعة من الفنانين ورجال الأعمال، وهذا تراه الأغلبية من الناس على شاشات الفضائيات والصحف، ولم يحدث وأن شاهدنا أي جزء من الفقراء الذين نزلوا إليك في الشوارع، وهم صائمون وأتوا من كل المحافظات يتغنون بزعيم جديد قد بعثه الله إليهم من جديد.

إن هذه الأغلبية الفقيرة رأت فيك صورة الزعيم عبد الناصر رحمه الله الذي حتى الآن حاضرًا في أذهان الفقراء والمحتاجين، وحتى الطبقات الوسطى، الزعيم المنقذ الذي أنقذ شعبه من

الاستعمار والاحتلال والفقر، ورد له كرامته التي يعيش عليها هؤلاء الغلابة حتى الآن.

في نفس المكان والأرض أيضًا طلب هذا الزعيم من شعبه التقشف بعد أن قررت أمريكا وقف المعونة، مخاطبًا شعبه، وهو مبتسم وبكل ثقة: (إحنا ممكن نقلل من استهلاكنا في الشاي والقهوة واللحمة، لكن لا نضيع استقلالنا، إذا كنا نشرب الشاي سبعة أيام نشربه خمسة أيام، إذا كنا نشرب القهوة سبعة أيام نشربها أربعة أيام، إذا كنا نأكل لحمة أربعة أيام نأكلها ثلاثة أيام، حتى نبني بلدنا، ولا نضيع استقلالنا لأن المعونة لا تمثل شيئًا لهذا الشعب، لأنه أغلى وأغنى بكثير من دولة صهيوأمريكية).

فما كان من هذا الشعب إلا أن صدَّق زعيمه المخلص لأنه تأكد وبكل بساطة قبل أن يطالبهم بذلك، كان قد حقق عدالة اجتماعية حقيقية، وأخذ من الأغنياء وأعطى للفقراء وجرد الإقطاعيين والرأسماليين، وكل من اغتنى بالظلم والسخرة حتى من لقبه "باشا أوبيه" بل إنه صفى امتيازات طبقة كاملة أفقرت الشعب قبل الثورة، خاصة أنه كان يصارح شعبه بكل شيء، لذلك كان الشعب يعرف أن التقشف سببه توقف المعونة الأمريكية، وأن توقف المعونة سببه اعتراض أمريكا على أن الأموال التي

توفرها من منحة القمح الأمريكي وتصرفها على تقوية الجيش وإنتاج الصواريخ.. إذن أمريكا مستعدة لدعمك، بشرط أن تتحكم في مصروفاتك. إذن فلا تقو بجيشك ولا تنتج صواريخ، وهذا ما لا يقبله عبد الناصر لأنه لا كرامة تعلو فوق كرامة المصريين، إذن لم يعترض هذا الشعب على التقشف بل صفق لزعيمه ونفذ ما طلب منه لأن عبد الناصر وشعبه كانوا بمثابة اليد الواحدة في السراء والضراء، هذه هي العلاقة الحميمة ما بين شعب وزعيم.

هل تعلم يا سيدي أنه أثناء خطابك والحديث عن التقشف وفقًا لتقرير مجلة "فورس" الاقتصادية، هناك ثمانية من رجال الأعمال المصريين المليارديرات يملكون ١٥٦ مليار جنيه، وفي نفس الوقت الذي تنفق فيه ٨٣% من الأسر المصرية، وفقًا لنفس التقرير، أقل من ٢١٠٠ جنيه شهريًا... أليس هذا بغريب شيئًا ما؟ إذن أين المعادلة هنا لأنه شيء محير ويصيب بالدهشة والانفجار.

كما أكد هذا التقرير نفسه أن مصر تأتي في المركز الأول عربيًا من حيث عدد المليارديرات الذين عددهم ثمانية، تليها السعودية بسبعة مليارديرات، أي أن البلد الذي يعد شعبه من أفقر الشعوب العربية يصنف أغنياؤه كأغنى الشعوب العربية، كما أن التقرير

يؤكد أن ثروات ملياردیرات مصر زادت بقدر أربعة ملايين دولار في الآونة الأخيرة "بعد الثورة"!.

فالثورة التي أثرَّت سلبًا على الاقتصاد، زادت الفقراء فقرًا، وزادت الأغنياء غنى.. وهذا لا يصيبني بالدهشة، لأنه دائمًا كما يقول المثل: "مصائب قوم عند قوم فوائد".

أيهما يا سيدي من يجب عليه أن يتقشف؟ الفقير أم من أفقره، وكان سببًا في أنه يعيش دائمًا مغلوبا على أمره؟ هل فعلاً أصبحنا نعيش في زمن لا صوت للفقراء يعلو على صوت الأغنياء فيه؟ والبعض يلجأ إلى التبريرات الدينية.. وخلقناكم طبقات.. مع أن الله سبحانه وتعالى بريء من المقصد الذي يحاول البعض أن يُفهمه للآخر.

وخلاصة الموضوع: أنا لا أزايد وأنتقد وإنما يجب التوضيح لأنه فاض الكيل والخوف من الانفجار الثالث، لأنه كما يقول المثل: "التالتة تابتة".

إذن سيدي، إذا فكرت في حكم هذا البلد وأن تكون خليفة لعبد الناصر وفعلت ما فعله فسيتقبل منك هذا الشعب وبصدر رحب، إذا طلبت منه التقشف... أما إذا قمت بالانحياز إلى فئة الرأسماليين، ولم تنحز إلى الفقير، فأنت تكرر أخطاء الغير، ولا

أحد يجادل ويقول: الزمن غير الزمن، لأن ما تمر به هذا البلاد لا يسمح بإعطاء مبررات، لأنه لابد من هيكلة كل شيء فيه كأننا سوف نبدأ من الصفر.

وهذا هو أصعب اختيار سوف تقع فيه سيدي.. إذن فإلى من سوف تنحاز؟ وكيف سوف يطبق التقشف؟

الإجابة سوف تظهرها الأيام.

و {لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا}.

obeikan.com